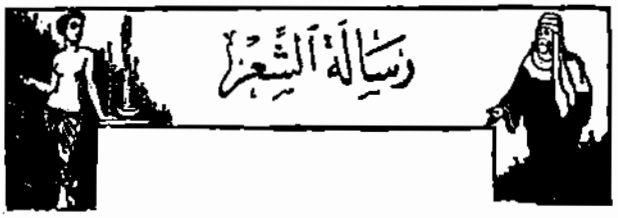

لو تكلم الفلاح ...

للأستاذ محمود الخفيف

شَبَابَتِي جَفَّتْ عَلَيْهَا الشِّفَاه ... وَلَحْنُهَا مَا هَزَّ قَوْمِي بُكَاهْ
بَكَيْتُ لا سَلْوَةَ غَيْرَ البُكَا ... حَتَّى البُكَا قَدْمَاتَ حَوْلِي صَدَاهْ

* * *

نَشَأْتُ فِي الشَّوْكِ سَقِيمَ البَدَنْ ... وَالشَّوْكُ لِي حَتَّى ارْتِدَائِي الكَفَنْ
يَا وَيْلَتَا مَاذَا جَنَتْهُ يَدِي ... يَدِي بَنَتْ فَوْقَ التُّرَابِ الحَيَاهْ

* * *

يَا لَيْتَ قَاسِي لَمْ تَجِلْهَا يَدِي ... أَوْ لَيْتَنِي يَا قَوْمُ لَمْ أُولَدِ !
أَشْقَى لِيَبْنِي بِشَقَائِي الغِنَى ... وَالجَاهَ ، بَانٍ ، كَمْ رَمَتْنِي يَدَاهْ

* * *

أَعِيشُ مِنْ عَجْمَائِهِ أَوْضَعَا ... يَا لَيْتَ لِي مِنْ فِكْرِهِ مَوْضِعَا
لِلثَّوْرِ ضِعْفٌ إِنْ ذَكَرْتُ الَّذِي ... أَعْطَاهُ أَجْرًا سَاءَ شَرْعُ الطُّغَاهْ !

* * *

حِمَارُهُ فِي سُرُجٍ مِنْ حَرِيرْ ... وَبَيْنَنَا فِي الرِّزْقِ فَرْقٌ كَبِيرْ
وَكَلْبُهُ ، لَوْ أَنَّ بَعْضَ الَّذِي ... يَحْظَى بِهِ حَظَّى جَهِلْتُ الشَّكَاهْ

* * *

ضَنِيتُ حَتَّى مَا عَرَفْتُ الضَّنَى ... وَالمَوْتُ طِبِّي بَعْدَ طُولِ العَنَا
يَا قَوْمُ إِنِّي جِئْتُ مِنْ آدَمٍ ... مَالِي بِهَذَا الكَوْنِ جَدٌّ سِوَاهْ

* * *

شَقِيتُ حَتَّى قَدْ جَهِلْتُ الشَّقَاءَ ... وَبَغَّضَ اليَأْسُ لِقَلْبِي الرَّجَاءَ
كَمْ لُذْتُ بِالآمَالِ حَتَّى غَدَتْ ... بَعْضَ عَذَابِي اليَوْمَ وَاحَسْرَتَاهْ !

* * *

أَلِمْتُ حَتَّى قَدْ رَثَى لِي الأَلَمْ ... وَأَشْفَقَ السُّقْمُ وَحَارَ العُدَمْ
لَمْ يُبْقِ مِنِّي غَيْرَ طَيْفِ البِلَى ... عَيْشِي وَمَالِي حِيلَةٌ فِي سِوَاهْ

* * *

لا هُوَ يُحْيِينِي وَلا قَاتِلِي ... مَنْ ذَا يُرِيحُ العَيْشَ عَنْ كَاهِلِي ؟
مِنْ مَوْلِدِ الشَّمْسِ إِلَى مَوْتِهَا ... كَدْحٌ وَمَا غَيْرُ الرَّدَى مُنْتَهَاهْ

* * *

وَفِي لَظَى الشَّمْسِ وَقُرِّ الشِّتَاءْ ... مَا كَانَ لِي غَيْرَ قَمِيصِي وِقَاءْ
وَقُوتِيَ الخُبْزُ ، يَمِيناً لَئِنْ ... يُلْقَى لِكَلْبٍ مُتْرَفٍ لازْدَرَاهْ

* * *

لِغَيْرِيَ النِّيلُ جَرَى كَوْثَرًا ... وَلِي جَرَى مِنْ عِيشَتِي أَكْدَرَا
مِنْ طِينِهِ الذَّائِبِ أَرْوِي الظَّمَا ... وَقَدْ رَوَى مَاءُ جَبِينِي ثَرَاهْ !

* * *

آوِي إِلَى كُوخِي ذَلِيلَ الخُطَى ... وَلَيْسَ فِي كُوخِيَ غَيْرُ الأَسَى
هَذَا بَرَاهُ السُّقْمُ حَتَّى بَدَا ... طَيْفاً وَذَا دَاءُ الكَلَى مَا دَهَاهْ

* * *

وَلَيْسَ لِي وَيْلاهُ مِنْ رَاحِمٍ ... وَهَلْ أُرَجِّي البِرَّ مِنْ ظَالِمِي ؟
يَنْظُرُ لِي إِنْ سَرَّ بِي نَظْرَةً ... كَأَنَّنِي فِي الحَقْلِ بَعْضُ الشِّبَاهْ !

* * *

يَا بَانِيًا هَذَا البِنَاءَ العَمِمْ ... بَنَيْتَ بِالإِشْلاءِ هَذَا الهَرَمْ
أَقُولُ إِمَّا بِتُّ فِي مَضْجَعِي ... طَاوِي الحَشَا : تَبًّا يَدًا مَنْ بَنَاهْ

* * *

يَا سَامِرًا أَغْرَاهُ حُلْوُ السَّمَرْ ... يَا لاَعِبًا بِالمَالِ حَتَّى السَّهَرْ
يَا وَالِغًا فِي الكَأْسِ هَذَا دَمِي ،
هَلاَّ ذَكَرْتَ الكَأْسَ كَيْفَ احْتَوَاهْ

* * *

مَا قَلَّ مِنْ هَذَا الَّذِي تُتْلِفُ ... يُسْعِدُنِي إِنْ كُنْتَ لا تَعْرِفُ
حَرَمْتَنِي مَا فَرَضَ اللهُ لِي ... إِصْلَ لَظَاهُ يَوْمَ تُكْوَى الجِبَاهْ

الخفيف